Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 21 | Issue 1 Article 11

2020

Reflections on Quranic Context: Advancing and Deferring in Quranic Expressions

Ahmad Al-Balasi
Ahliyya Amman University, Jordan, Ahmed_balasi@hotmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arabic Studies Commons, Islamic Studies Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation

Al-Balasi, Ahmad (2020) "Reflections on Quranic Context: Advancing and Deferring in Quranic Expressions," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 21 : Iss. 1 , Article 11.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

Reflections on Quranic Context: Advancing and Deferring in Quranic Expressions

Cover Page Footnote

جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2020. أستاذ مساعد، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمان الأهلية، الأردن. Email: ahmed_balasi@hotmail.com

This article is available in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات:
https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 21 العدد 1، 2020، ص ص 291- 315

تأملات في السياق القرآني: التقديم والتأخير في التعبير القرآني

Reflections on Quranic Context: Advancing and Deferring in Quranic Expressions

أحمد يوسف البلاصي*

تاريخ الاستلام 2019/5/13 تاريخ القبول 2019/12/18

ملخص

القرآن الكريم معجزة إلهية على مدى الزمن، أعجز العرب القدماء أصحاب الفصاحة والبلاغة، كما أعجز البشرية على مدى الزمن، أعجزهم في معجزاته البلاغية والعلمية والاجتماعية والسياسية، فالله سبحانه وتعالى جعله دستورا قيما للبشرية، لا تسعد ولا يأتيها الخير إلا بتطبيق شرع الله، فعلماء اليوم يؤكدون كما أكد السابقون أن هذا القرآن معجزة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه كتاب الله المعجز، ولو أن البشرية أخذت بهذا الكتاب لنالت السعادة في الدنيا والآخرة.

في هذا البحث حاولتُ أن أتأمل الإعجاز في كتاب الله: أساليبه ولطائفه في التقديم والتأخير للألفاظ والجمل وما فيها من دلالات بلاغية وبيانية، كما وضحتُ في بداية البحث الجهود المبذولة من قبل العلماء السابقين، الذين أفنوا عمرهم في البحث في هذا الإعجاز.

الكلمات المفتاحية: إعجاز القرآن، التقديم والتأخير، البلاغة.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2020.

* أستاذ مساعد، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمان الأهلية، الأردن.
Email: ahmed_balasi@hotmail.com

Published by Arab Journals Platform, 2020

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

Abstract

The Holy Quran is an eternal Godsend miracle which has baffled even the ancient Arabs as specialists in eloquence where they found it impossible to replicate any single verse in it in terms of its Purity, Perfections, and Marvels. Since the Quran is a miracle of the Creator, it is believed by Muslims that these miracles in the Holy Quran will last till Allah enforces his judgment on Earth. God has intended for the Quran to be the righteous Doctrine to which our lives would conform and be straightened up by. It is a comfort to the hearts of Muslims, and it is believed that humanity will not achieve happiness except by following its rules as it is directly delivered to us from our own maker who knows best what our needs are. Thus, It is only with Quran that humanity will achieve what is good for it in both this life and the afterlife.

This research studies an aspect of this miraculous nature of Quran namely dealing with the advancing and deferring of words, phrases, and sentences in the Quranic context. In addition, the study illustrates the ways and subtleties in the advancing and deferring in the verses of the Holy Quran in search for their rhetorical denotations and attempts to locate specific examples of this miraculous sign in them. This study has also presented the various opinions of early scientists regarding this specific miraculous aspect of the Quran as well as contemporary studies carried on by Modern researchers illustrated at the beginning of the research.

Keywords: Inimitability of Quran, Advancing and Referring, Rhetoric.

المقدمة

وصلت اللغة العربية قبل الدعوة الإسلامية إلى قمة مجدها وبلاغتها وبيانها وتعددت أغراضها في الشعر والنثر، وتسابق الشعراء في تمجيد مآثر قبائلهم وتسجيل تاريخها حتى أصبح الشاعر لسان حال القبيلة، فإذا ما برز شاعر في قبيلة أقيمت الأفراح، وتنافس الشعراء في تمجيد قبائلهم، وأنشئت الأسواق الأدبية، وقد وصفهم محمد بن جرير الطبري بأنهم رؤساء صياغة الخطب والبلاغة والشعر والفصاحة والسجع والكهانة، فيهم كل شاعر فصيح وكل خطيب بليغ، وتفاخر الشعراء بأمجادهم ونظمت المعلقات وجاءت بأفصح ما نطق به أهل الحضارة والبادية، وظهر منهم امرؤ القيس وطرفة وزهير[1].

وجاءت الفصحى على لسان العامة والخاصة من الناس فأدركوا أسرارها وكنهها.

عند ذلك كانت الدعوة الإسلامية، ونزلت المعجزة الكبرى وهي القرآن الكريم، الذي تحدى العرب وهم أصحاب اللغة ونفذ إلى أحاسيسهم ومشاعرهم، فمنهم من استجاب له وآمن، ومنهم من كابر وتحدى رغم علمه بأنه الكلام المعجز من رب العالمين، وتجمعت قريش حول الوليد بن المغيرة ووصفت محمداً (صلى الله عليه وسلم) بأنه كاهن، فيقول الوليد: (والله ما هو بكاهن

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11 2

لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا:- فنقول إنه مجنون، فقال: ما هو بمجنون، فقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ووسوسته، قالوا:- نقول شاعر قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر قالوا: نقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس قال: والله إن لقوله طلاوة وإن أصله لمغدق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً، ألا أعرف أنه باطل وأن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وأخيه وبين المرء وعشيرته.[2]

ويروى عن أبي عبيدة أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ "فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " فسجد، وقال سجدت لفصاحته[3].

وسمع آخر رجلاً يقرأ "فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا"[4] فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وتحدى القرآن العرب أن يأتوا بمثله فقال تعالى:- "أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين"[5]

وقال أيضا: "أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين[13] فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله لا إله الا هو فهل أنتم مسلمون"[6]

وتحدى أيضا أن يأتوا بسورة من مثله بقوله: "وإن كنتم في ريب ممَا نزَلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين[23] فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين"[7].

بل تحدى القرآن الجن والإنس على مدى الزمن والأجيال أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) [8].

ولكن العرب منهم من آمن بهذا التحدي وأيقن أنه كلام الله المعجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذلك بفطرته السليمة وما عرفه في القرآن من أساليب البلاغة والفصاحة والبيان.

ومنهم من واصل ضلاله وكفره مع علمه اليقيني بأن هذا ليس من كلام البشر، ولكن الكفر عناد، حتى لا يتنازل عن كبريائه الجاهلي ومكابرته السخيفة فبقي معانداً ضالاً مضلاً غيره ونفسه.

وانتشر الإسلام شرقاً وغرباً وحمل المسلمون هذا الدين الجديد، وحملوا مكارم الأخلاق، وأنقذوا البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، بعد أن فسدت فطرة الناس، ولم تعد عندهم تلك الملكة الذوقيَة السليمة، ولا ذلك الذوق الفطري السليم الذي يفرق بين السليم والرديء من القول، وذلك لاختلاطهم بالشعوب الأخرى، فلم يعد إدراك الإعجاز القرآني فطرياً لفساد اللغة عند العرب، فأوجب على من يريد أن يعرف هذا العلم أن يدرس أساليب العرب ولغتهم ومعانيهم حتى يستطيع إدراك ما في كتاب الله من كلام معجز، أعجز أصحاب اللغة وحملة بيانها.

وصف ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" أسلوب المجاز في اللغة العربية فيقول:- "وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طريق القول، ومأخذه ففيها" الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح، والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد كمخاطبة الجمع والجمع خطاب الواحد، والواحد والجمع خطاب الاثنين والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، ثم يمضي ويقول:- "ولذلك لا يقدر أحد من التراجم أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل من السريانية إلى الحبشية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله بالعربية لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب"[9].

وبهذا يوضح لنا ابن قتيبة عدم مقدرة نقل القرآن الكريم إلى لغات الشعوب الاخرى، وان تمكن المترجم من نقل معاني القرآن إلا أنه يبقى عاجزاً عن نقل أحاسيسه ومشاعره حين يقرأ آيات القرآن الكريم وتهزه حين تستقر في قلبه ووجدانه، ويظهر عليهم الإيمان والخضوع إذا ذكر اسم الله.

فالعرب المسلمون حين ملكوا ناصية الأرض ورفرفت أعلامهم على أسوار المدن المفتوحة، لم يسمحوا لأنفسهم ولا لغيرهم أن يترجموا معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم، بل فرضوا لغتهم على غيرهم من الشعوب، فألفت الشعوب الجديدة بلغة القرآن ودرستها، ولم تؤلف بلغتها بل تأثرت لغتها كثيراً بلغة القرآن الكريم.

وهكذا تبقى المعجزة القرآنية خالدة خلود الحياة على الأرض، جعلها الخالق جلت قدرته دستوراً ربانياً تستقيم به حياة البشرية وتطمئن قلوبها اليها، وتنال خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ففي هذا البحث البسيط حاولت أن أبين بعض وجوه الإعجاز في كتاب الله، حتى تستطيع الناشئة أن تدرك شيئاً من هذا الإعجاز الذي لا تنتهي عجائبه وقد استعنت بآراء الباحثين القدامى من كبار علماء المسلمين، أمثال الزمخشري، وعبد القاهر الجرجاني.

كما حاولت أن أدرس أسلوب القرآن الكريم والجملة القرآنية وصياغتها وتعبيرها. هذا وآمل من الله أن أكون قد وفقت في هذا العمل البسيط.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

القرآن الكريم حجة على العرب، لأنهم أدركوا أسراره ومعانيه وبيانه ونظمه وأسلوبه المعجز، فهم أصحاب البيان والبلاغة والفطرة السليمة، فقد تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا.

والعرب حجة على سائر الخلق، أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم نشر هذا الدين وإقامة الحجة على سائر الخلق، وتعليم الأمم مبادىء هذا الدين بلغة القرآن حتى تدرك بلاغته كما أدركتها الأمم السابقة فبرز فيها علماء كالجاحظ وغيره.

فتبليغ هذا الدين إلى أمم الأرض وريادة الشعوب في هذا المجال كان من واجب العرب، حتى تتمكن هذه الشعوب من إدراك رسالة السماء وتطمئن القلوب بذكر ربها وتعود إلى فطرتها السليمة.

فالقرآن الكريم أعجز العرب كما ذكرنا في عدة وجوه، ولا زال إلى يومنا حجة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإلى أن يرفع القرآن من صدور البشر، يبقى التحدي قائما إلى يوم القيامة لأنه كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالله سبحانه وتعالى هو الحافظ لكتابه، المتكفل به وما سواه من كلام البشر يموت، فهو قابل للخطأ والصواب، والخطأ في كلام البشر أكثر من الصواب، فكل بني آدم خطاؤون.

فكلام الله هو الدستور الأمثل لأمم الأرض، فالزمان والمكان لا يصلحان إلا بكلام الله المعجز

والمعجزة قائمة إلى يوم القيامة في معظم مجالات الحياة، ولا زلنا إلى يومنا هذا نرى كثيراً من علماء الطب والجغرافيا وغيرهم قد فتح الله عليهم واستفادوا من القرآن في كثير من اختراعاتهم وابتكاراتهم لما في القرآن من حقائق ثابتة، لا زالت الأمم مهما أوتيت من العلم تعجز عن إدراكها.

هذا وجه واحد من مجالات إعجاز القرآن الكريم، وهناك وجوه اخرى منها:

إخباره عن كثير من المغيبات قد وقعت كما ذكر القرآن الكريم وهذا مما لا يقدر عليه بشر لقوله تعالى:- "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين"[10].

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

وقوله تعالى "غلبت الروم[2] في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون[3] في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون"[11].

والوجه الآخر من وجوه الإعجاز القرآني:-

ما في القرآن من إخبار عن الأمم السابقة البائدة من حين خلق آدم إلى بعث محمد صلى الله عليه وسلم، ومعلوم لدى الجميع أن محمداً عليه السلام لم يجلس إلى راهب ولا إلى عالم، ولم يتتلمذ على يد معلم وإنما كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يجلس إلى أحبار اليهود ولا إلى قساوسة النصارى وإنما جاءت أوصافه في كتبهم " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ".

ووجه آخر من وجوه الاعجاز القرآني: هو ما تضمنه هذا الكتاب من التشريع العظيم الدقيق، الذي يجعل المجتمعات الإنسانية غاية في السمو، فرسالته عامة للشعوب لذا جاءت تناسب المجتمعات كافة.

1- العلماء المسلمون الذين كتبوا في الإعجاز

انكب علماء الإسلام على دراسة القرآن الكريم وبيان إعجازه وإفحامه، وأول من كتب في هذا المجال أبو الحسن بن عيسى الرماني المتوفى سنة 374 هـ في كتابه" النكت في إعجاز القرآن".

والمتأمل في كتابه يرى أن القرآن جاء معجزا بألفاظه ونظمه وأسلوبه وأثره في النفوس.

ويتحدث عن بلاغة القرآن الكريم ويرى أنه أعجز العرب والعجم، والأبواب التي يتناولها في كتابه هي الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان.

ويرى أن الايجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، ويقسمه إلى إيجاز حذف وإيجاز قصر.

وإيجاز الحذف:- إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام.

ومثاله: "واسأل القرية"[12]، "ولكن البر من اتقى"[13].

وقوله تعالى: "وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً، حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها"[14] كأنه قيل حصلوا على النعيم المقيم.

وإيجاز القصر: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف[15].

كقوله تعالى: "ولكم في القصاص حياة"[16].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11 6

ويعدد الرماني فوائد الإيجاز، والإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخلصها من الدرن"، ويرى أن الإيجاز أعلى مراتب البيان[17].

فالقرآن كتاب لا تنتهي عجائبه، ويبقى إعجازه ما بقيت حياة على وجه الأرض، واجتهد العلماء في بيان اعجاز القرآن للكشف عن أسراره وعجائبه، ولكل واحد منهم نظرية في الإعجاز ورأيه فيه، بحيث لا يمكن حصرها في صورة واحدة.

والناظر في القرآن الكريم ينظر في آيات معجزة منزلة من السماء، ليست من خلق البشر، إذ لكل إنسان رأي ونظرة في هذا القول المعجز فيرى القارىء لآرائهم ملامح جديدة تختلف عن الآخر، مع العلم أن الإعجاز القرآني لا يمكن أن يحيط به بشر، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وكل ما أوجده الفكر البشري في الإعجاز القراني، كل ذلك ليقرب معنى الإعجاز لعقول البشر، "ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم" فالله تعالى يصف كلماته بقوله "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا"[18].

فهذا الإعجاز الإلهي المتمثل في كلمات الله سيبقى إعجازا للإنس والجن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن العلماء المسلمين الذين كتبوا في الإعجاز القرآني: الجاحظ:-

رأي الجاحظ في الإعجاز:-

لم يصلنا من الجاحظ كتاب في الإعجاز، وإنما له رسائل متناثره بين ثنايا ما كتبه تبين رأيه في الإعجاز.

ففي رسالة للجاحظ "حج النبوة" يقول:-

"إن محمداً صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة، لها في العقل موقع كموقع فلق البحر من العين، وذلك قوله لقريش خاصة وللعرب عامة – مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء، والدهاة والحلماء، وأصحاب الرأي والمكيدة والتجارب، والنظر في العاقبة:- "إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت في دعواي، وصدقتم في تكذيبي"".

ويتحدث الجاحظ عن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم كان أغلب الأمور عليهم واحسنها عندهم، وأجلها في صدورهم حسن البيان، ونظم دروب الكلام مع علمهم له، وانفرادهم به فحين استحكمت لغتهم وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم، وبعثه الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه، فلم يزل

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

يقرعهم بعجزهم، وينقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم ولعوامهم، كما تبين لأقويائهم وخواصهم، وكان ذلك من أعجب ما أتاه الله نبياً قط مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات[19].

ويرى الجاحظ أن البلاغة نظم وصياغة، فمن أخطأه حسن النظم وحبكة الصياغة فقد أخطأت كلامه عناصر الحياة، فالمعنى عندما يخرج من نظم مضطرب، يصبح معنى ذميماً.

ويرى الجاحظ أن المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في اقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك [20].

ويرى الجاحظ أن الإعجاز في النظم عندما يكون على شيء من السعة والامتداد، بحيث يكون مؤلفا من حقائق مترابطة.

يقول "ولو أراد انطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب (يعنى القرآن) سورة واحدة طويلة او قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه، لما قدر عليه، ولو استعان بجميع قحطان" ومعد بن عدنان[21].

الإعجاز عند الباقلاني

يرى الباقلاني أن إعجاز القرآن جاء على ثلاثة أوجه:

الأول:- الإخبار عن الغيوب وهو ما لا يقدر عليه البشر، كقوله تعالى "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"[22]، ففعل ذلك. وقوله في أهل بدر: "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم"[23] وقد انتصر المسلمون في هذه المعركة.

الثاني: أن الرسول كان امياً لم يطلع على كتب الأقدمين.

الثالث: نظم القرآن: اختلف نظم القرآن عما ألفه العرب في أسلوب مميز، فالشعر العربي يقسم إلى أعاريض وإلى كلام مسجع وغير مسجع، أما القرآن فليس من قبيل الشعر، وخرج على أصناف كلامهم وأساليب خطابهم.

وليس في كلام العرب ما يشتمل على هذه الفصاحة والتصريف البديع والمعاني اللطيفة وإنما تنسب إلى حليمهم كلمات معدودة والفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال والاختلاف والتكلف والتجوز والتعسف، أما القرآن فكما وصفه سبحانه وتعالى "الله نزّل أحسن الحديث"[24] "ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"[25].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

"ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ووقف دونه، وبان الاختلاف على شعره، أما القرآن فلا تفاوت فيه، ولا إنحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا".

الزمخشري ورأيه في الإعجاز:

الزمخشري من بين العلماء الذين كتبوا في إعجاز القران وأخذ بالكثير من آراء المعتزلة في نفي الصفات عن ذات الله ومن بينها حسن الكلام، إلا أنه لم يأخذ بقولهم في إعجاز القران بأنه كان بالصرفة، أي إن العرب كانوا قادرين على الإتيان بمثله ولكن الله صرفهم عن أن يعارضوه، وهذا ما قال به الجاحظ وكثير من المعتزلة.

فالزمخشري أراد أن يجعل القرآن كله مجالا للناظرين في الإعجاز والباحثين عنه في كتاب الله. في تفسيره والكشف عن حقائق وغوامض وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

كما أن الزمخشري لم يخرج في تفسيره عن الدلالات اللغوية لكلمات القرآن الكريم ولم يتجاوز المضمون البياني لآياته، وكان همه البحث عن مواقع الإعجاز وروائع البيان وعجيب النظم فكان له منهج خاص به لم يذهب به مذهب أصحاب المعاجم والقواميس في الشرح اللغوي للكلمات، وإنما يقصد إلى المثل أو الحكمة أو الكلمة وبين ما بها من تشبيه أو استعارة أو كناية.

لقد اطلع الزمخشري على كتاب الله وعلى كل آية من آياته والتي تشير إلى معجزة أو تتحدث عن إعجاز.

وجوه الأعجاز:

يقول الزمخشري في مقدمه تفسيره:

"الحمد الله الذي أنزل القرآن كتابا مؤلفا منظما، ونزله بحسب المصالح منجما، وجعله بالتحميد مفتتحاً، وبالاستغاثة مختتماً " ثم يقول:

"أنشأه كتابا ساطعا تبيانه، قاطعا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان"[26].

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

عبد القاهر الجرجاني

عبد القاهر الجرجاني أحد علماء البيان الذين غلب عليهم الذوق السليم ولم تفسد فطرته النقية، في وقت غلبت على العلماء سيطرة المذاهب الجدلية والفلسفية.

وقد ألف عبد القاهر الجرجاني كتابين أولهما أسرار البلاغة كشف فيه عن وجود الحسن في البيان العربي، أما الكتاب الثاني فهو دلائل الاعجاز، يحاول فيه أن يكشف عن الإعجاز القرآني، وكذلك في رسالة سماها "الشافية".

فأسرار البلاغة جاء مقدمة لكتابه دلائل الإعجاز، وهذا الكتاب جاء مقدمة للرسالة الشافية.

واللغة هي تلك الكلمات التي تعبر عن مشاعر وعواطف وأفكار الأمة، فهي تتحرك على كل لسان، ولكنها تختلف باختلاف قائلها، تختلف باختلاف من ينطق بها، فالكلمة في فم البطل تختلف في مدلولها ومضمونها ونتائجها عن الكلمة نفسها في فم الجبان، تلك التي لا تتعدى سمعه ولا تصل إلى أذنيه.

فالفرزدق الشاعر يهدد "مربعاً"، فيصبح تهديده سخرية للناس وموضعاً للعبث واللهو، فجرير يسخر من مقولته يقول:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

في حين أن كلمة القتل في فم البطل أو الملك لها مدلولاتها المخيفة، لأن وراءها الموت والدمار والدم.

فاللغة لها دلالتها وصفاتها الإنسانية تنبع من عاطفة ووجدان وشعور تتأثر كثيراً بثقافة صاحبها وشخصيته، فهي تعيش معه، وتتصف بصفاته وطبائعه وتركيب خلقه.

يقول القاضي الجرجاني "وأنت ترى ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك، وترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ معقد الكلام، وعر الخطاب، حتى أنك ربما وجدت الفظاظة في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته"[27].

فالقرآن الكريم كلام الله، وهو الحق من رب العالمين، في كل حرف من حروفه ترى قبسة من نور الحق ونفحة من نفحات القوة والعزة، أعجز البشرية على مدى الزمن إلى ان يرث الله الارض ومن عليها.

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن وجوه الإعجاز والتعرف عليه أمر ممكن، لأن خلودها على مدى الدهر لا معنى له، إلا إذا وقعت موقع المعرفة من الناس وقامت دليلاً على صدق رسالة الرسول.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11 10

فالعرب أقروا بالعجز عن معارضة القرآن، يقول عبد القاهر الجرجاني ولو أنهم – أي العرب- حين سمعوا وحين تحدوا إلى معارضته سمعوا كلاماً لم يسمعوا قط مثله، وأنهم قد رازوا أنفسهم، فأحسوا بالعجز على أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه أو يقع قريباً منه[28].

ماذا أعجز العرب، القرآن الكريم؟

لماذا عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن الكريم؟ هل عجزوا عن لفظه أم معناه؟

ويرى الجرجاني أن الصورة البيانية هي التي تؤلف بين اللفظ والمعنى، ويقول الجرجاني عن اللفظة القرآنية: -

"أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظه ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة برهان وصفة وبيان.

وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجمع كلمة ينبو مكانها، ولفظة ينكرها شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح مكاناً أو أشبه، أو أحرى واخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً واتقاناً وأحكاماً"[29].

التقديم والتأخير في الآيات القرآنية:

القرآن الكريم أعجز العلماء منذ نزوله إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو مصباح الظلام ومنهل البيان، وقف فحول العرب وفصحاؤهم أمامه عاجزين.

وقد جاء أسلوب القرآن في غايته العظمى من البلاغة والفصاحة، وخرج عن جميع وجوه النظم المتعارف عليها في كلام العرب فتوافد العلماء على معرفة أسراره، في استخراج دره.

وجرى متأخرون من العلماء على أن يجمعوا الإعجاز وكل ما قاله السلف ليؤكدوا أن هذا القرآن يهدي للتي أقوم.

وفي هذا البحث سأحاول الوقوف على أساليب التقديم والتأخير ومعرفة لطائفه، فهو باب كثير الفوائد، لا يزال بديعه وإعجازه قائما إلى يوم الدين.

والتقديم والتأخير في الآيات القرآنية ينقسم إلى قسمين:

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

تقديم اللفظ على عامله:

كتقديم المفعول به على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الخبر على المبتدأ. وهذا التقديم أعجز العرب وجعلهم يؤمنون بأن هذا القرآن من الله. والتقديم هنا يفيد الاختصاص، وهناك أمثلة كثيرة في القرآن الكريم منها،

قال تعالى: (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)[30].

وقوله تعالى: (واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون)[31].

ففي الآية الكريمة قدّم المفعول به على فعل العبادة في الموضوعين، لأن العبادة مختصة بالله تعالى.

ومثل التقديم على فعل الاستعانة قوله تعالى: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)[32].

وقوله تعالى: (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين).[33]

وفي قوله تعالى: (وعليه توكلت واليه أنيب)[34]، فقدم الجار والمجرور بالدلالة على الاختصاص؛ لأن التوكل لا يكون إلا لله وحده، والانابة ليست إلا اليه وحده.

ولم يقدم مفعول الهداية على فعله، فلم يقل (إيانا اهده) كما قال تعالى: (اياك نعبد) وذلك لأن طلب الهداية لا يصح فيه الاختصاص، إذ لا يصح ان نقول (اللهم اهدني وحدي، ولا تهدِ احداً غيري).

ومنه قوله تعالى: (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين)[35].

فقدم الفعل (آمنا) على الجار والمجرور (به) وأخّر (توكلنا) عن الجار.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة توضح ذلك في قوله تعالى: (إن إلينا إيابهم[25] ثم إن علينا حسابهم)[36].

فإن الإياب لا يكون إلا لله وحده[37].

وقوله تعالى: (كل إلينا راجعون)[38].

وقوله تعالى: (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن اعبد الله ولا أشرك به إليه أدعُوا وإليه مآب)[39].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

وقوله تعالى: (إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)[40].

وقوله تعالى: (إلى ربك يوم اذن المساق)[41]، فالمساق الى الله وحده.

وقوله تعالى: (إليه يرد علم الساعة)[42].

وقوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة)[43]، فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ.

وقوله تعالى: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو)[44]، ففي الآية الكريمة قدّم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب.

وقد يكون التقديم لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك، إلا أن الأكثر فيه الاختصاص.

ومن التقديم الذي لا يفيد الاختصاص، قوله تعالى: (ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا هدينا ونوحا هدينا من قبل)[45]، ليس معناه أن هدينا نوحا فقط، وإنما من باب المدح والثناء.

وقوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر [9] وأما السائل فلا تنهر)[46].

ليس المقصود به جواز قهر غير اليتيم، ونهر غير السائل، وإنما هو من باب التوجيه، فاليتيم ضعيف والسائل كذلك.

تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل:

إن فن التقديم والتأخير فن رفيع، وقد بلغ القرآن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه بالتعبير، فيكفي أن نقول أنه كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فنرى التعبير متسق مع غيره، كأنه لوحة فنية واحدة متكاملة[47].

ويعود سبب تقديم اللفظ إنما يكون للعناية والاهتمام فكلما كان الكلام فيه عناية أكبر تقدم على غيره حسب مقتضى الكلام.

فالقرآن الكريم يقدم السماء مرة، ويقدم الأرض مرة أخرى، ومرة يقدم الإنس على الجن ومرة يقدم الجن على الإنس.

فتقديم الألفاظ يكون أحيانا حسب القِدم والأولوية في الوجود.

كما في قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون)[48].

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

فخلق سبحانه الجن قبل خلق الإنس.

ومن ذلك تقديم عاد على ثمود في قوله تعالى: (وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم)[49]، فإن عادا أسبق بالوجود من ثمود.

وفي قوله تعالى: (لا تأخذه سنة ولا نوم)[50]، لأن السّنة وهي النعاس تسبق النوم فبدأ بالسّنة ثم النوم[51].

وجعل من ذلك تقديم الليل على النهار والظلمات على النور[52].

قال تعالى: (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر)[53]، فقدم الليل لأنه أسبق من النهار، وذلك لأنه من يوم خلق الأجرام السماوية كانت الظلمة، وقدم الشمس على القمر لأنها قبله بالوجود.

وقال تعالى: (وجعل الظلمات والنور)[54].

ومنه تقديم العزيز على الحكيم:

قال تعالى: (خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم)[55]، لأنه عز فحكم[56].

ومنه تقديم القوة على العزة لأنه قوي فعزَ أي غلب، فالقوة أولا، كما في قوله تعالى: (إن الله لقوي عزيز)[57].

كما نرى ذلك أن الله قدّم القوة على العزة في قوله تعالى: (وكان الله قويا عزيزا)[58]

وفي السياق القرآني نرى أن الله سبحان وتعالى قدّم السمع عن البصر في آيات كثيرة، لأهمية السمع وفضله، كما في قوله تعالى: (وهو السميع البصير)[59].

وفي قوله تعالى: (إن خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا)[60].

وكما قدم الله السمع على البصر في قوله تعالى: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمّاً وعميانا)[61].

وتبين من ذلك أن السمع أفضل من البصر. فالله سبحان وتعالى لم يبعث نبياً اصماً ولكن قد يكون النبي أعمى كيعقوب فقد بصره لفقده ولده[62].

وقد يكون التقديم للسمع لسبب آخر عدا الأفضلية، وهو أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية، فقدم المدى الأقل متدرجا من القِصر إلى الطول في المدى، ولذا حين قال موسى في فرعون (إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى[63] قال لا تخافا انني معكما اسمع وأرى) [64].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

وأحيانا نرى أن السياق القرآني قد قدم السمع على غيره من باب التخويف والتهديد لقوله تعالى: (وهو السميع العليم)[65].

وكما نلاحظ أنه قدم السمع على غيره في قوله تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)[66] [67].

وقد يكون التقديم في السياق القرآني بحسب الرتبة: كما في قوله تعالى: (ولا تطع كل حلّاف مهين[10]همّاز مشّاء بنميم[11] منّاع للخير معتدٍ أثيم)[68].

فالهماز هو العيّاب وذلك لا يفقتر إلى مشيٍ بخلاف النميمة، فهو ينقل الحديث من مكان إلى مكان ومن شخص إلى شخص[69].

فانتقل السياق القرآني من الهمّاز إلى المشّاء إلى المناع إلى المعتدِ.

وقد يكون التقديم في السياق القرآني بحسب الفضل والشرف منه تقديم الله سبحانه وتعالى فالذكر، بقوله تعالى: (ومن يطع الله والرسول فؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[70] [71].

كما نلاحظ هذ التقديم بحسب الفضل والشرف في قوله تعالى: (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاق غليظا)[72].

فبدأ السياق القرآني بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أفضلهم[73].

ونلاحظ التقديم بالرتبة في من يكنز الذهب والفضة كقوله تعالى: (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم)[74].

فالسياق القرآني تدرج من الجباه ثم الجنوب ثم الظهور لأنهم إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم مجلس تولوا بأركانهم ثم ظهورهم[75].

كما نلاحظ أن السياق القرآني قدّم المغفرة على الرحمة، لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة[76].

كما في قوله تعالى: (إنما حرّم الله عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)[77].

وكما نلاحظ ذلك في قوله تعالى: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعةً ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما)[78].

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

كما نلاحظ في السياق القرآني تقديم الغفور على الرحيم في سورة سبأ لأن الرحمة عامة شملتهم جميعاً، والرحمة تخص بعضاً والعموم قبل الخصوص بالرتبة[79].

كما في قوله تعالى: (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور)[80].

كما نلاحظ أن التقديم في السياق القرآني يكون بحسب الكثرة والقلة، كما في قوله تعالى: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وامناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)[81].

فبدأ بالطائفين وهم الأكثر ثم العاكفين ثم الركع السجود وهم الأقل.

ونلاحظ الكثرة والقلة في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[82].

فبدأ السياق القرآني بالركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود وهو أكثر ثم عبادة الرب وهم أعم، ثم فعل الخير.

وقد يكون الكلام في السياق القرآني من الكثرة إلى القلة حسب مقتضى السياق كقوله تعالى: (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)[83]، فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة، ثم السجود وهو أقل وأخص ثم الركوع وهو أقل وأخص[84].

ومن هذا النوع في التقديم قوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما)[85].

فقدم السياق السارق على السارقة، لأن السرقة في الذكور أكثر.

وأحياناً قدّم الزانية على الزاني في قوله تعالي: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدة منهما مائة جلدة)[86]؛ لأن الزنى فيهن أكثر[87].

ونلاحظ في السياق القرآني أن الله سبحانه وتعالى يقدم الرحمة على العذاب إذا اجتمعا، لأنه أرحم الراحمين كما وصف نفسه، نلاحظ أنه عندما يذكر الرحمة والعذاب يذكر الرحمة أولا، بقوله تعالى: (إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم)[88].

وفي قوله تعالى: (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول)[89].

وكذلك بدأ بذكر الرحمة قبل العذاب في قوله تعالى: (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)[90].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11 16

ونلاحظ أن السياق القرآني يخرج عن هذه القاعدة في مواضع مختلفة لحكمة ارادها الله، فيقدم العذاب أحياناً ترهيباً وزجرا، كقوله تعالى: (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير)[91].

وفي قوله تعالى: (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون)[92]، لأن السياق القرآني فيه إنذار ابراهيم لقومه ومخاطبة النمرود وأصحابه[93].

التقديم حسب ما يقتضيه السياق القرآني:

نلاحظ أن السياق القرآني يقدم ويؤخر بناء على المعنى المقصود من الآيات الكريمة وحسب ما يقتضيه السياق.

فمن ذلك قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم)[94]، فقدم رزق الآباء على الأبناء.

وفي قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) [95]، قدم رزق الأبناء على الآباء.

فالآية الأولى موجهة إلى الفقراء دون الأغنياء، فهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم، فأوجبت البلاغة تقديم عِدتهم بالرزق وتكميل العدة برزق الأولاد.

وفي الآية الثانية الخطاب لغير الفقراء، الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر، لأنهم مفتقرون في الحال يخافون أن تسلبهم نفقة الأولاد ما بأيديهم من الغنى، فوجب تقديم العِدة برزق الأولاد حتى يأمنوا من الفقر[96].

وفي قوله تعالى: (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)[97]، فقدم الأنعام على الناس وذلك لما تقدم من ذكر الزرع.

ففي قوله تعالى: (وفاكهة وأبا[31] متاعا لكم ولأنعامكم)[98].

فالسياق القرآني قدم الناس على الأنعام لأنه قدم طعام الإنسان (فاكهة) على طعام الحيوان[99].

ونرى التقديم والتأخير واضحاً حسب ما يقتضيه السياق القرآني في قوله تعالى: (وترى الفلك مواخر فيه)[100].

وقوله تعالى: (وترى الفلك فيه مواخر)[101].

لما كان الكلام على البحر قدّم ضمير البحر على المخر فقال: وترى الفلك فيه مواخر، ولما كان الكلام على وسائل النقل والفلك، قدّم حالة الفلك.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

ومن ذلك التقديم والتأخير حسب السياق القرآني قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله)[102].

وقوله تعالى: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أولائك هم الفائزون)[103].

فقدم الأموال والأنفس على (في سبيل الله) في سورة الانفال. وقدم (في سبيل الله) على الأموال والأنفس في سورة التوبة.

فالسياق قدّم المال في سورة الأنفال لأنه كان مطلوبا لديهم.

وقدّم الجهاد في سورة التوبة (في سبيل الله) لمناسبة الجهاد.

ونرى ذلك التقديم والتأخير حسب السياق القرآني في قوله تعالى: (ذلك الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل)[104].

وقوله تعالى: (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون)[105].

فقدم في آية الأنعام (لا إله إلا هو) وأخّر (خالق كل شيء).

وفي سورة غافر عكس ذلك قدّم (خالق كل شيء) على (لا إله إلا هو) لأن في آية سورة الأنعام الكلام على التوحيد ونفي الشرك والشركاء والصاحب والولد، ولذا قدّم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) على (خالق كل شيء).

أما في سورة غافر تكلم في سياق الخلق وتعداد النعم وفضل الله على الناس لا على التوحيد فقدم الخلق.

ونرى التقديم والتأخير في آيات أخرى من القرآن الكريم في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ممل كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين)[106].

وقوله تعالى: (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)[107].

فقال في سورة البقرة: (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) قدّم الشيء وأخر الكسب لأن الآية في سياق الانفاق والصدقة، والمنفق معطٍ وليس كاسباً، لذلك أخّر الكسب. أما الآية الثانية في سورة إبراهيم فهي في سياق العمل والعامل، فقدم الكسب.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11 18

ومن التقديم والتأخير في قوله تعالى: (ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا)[108].

وقوله تعالى: (ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا)[109].

ففي آية الإسراء قدّم (للناس) على (في هذا القرآن) وأخرّها في سورة الكهف.

وذلك لأنه تقدم الكلام (في الإسراء) على الإنسان ونِعم الله عليه ورحمته به، فقال (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشر كان يؤوسا)[110].

فناسب تقديم الناس، ولم يتقدم مثل ذلك في الكهف، بدأ بذكر القرآن ثم ذِكر الناس فكان المناسب أن يتقدم ذِكر القرآن على الناس.

وفي آيات كثيرة من القرآن الكريم نشاهد هذا الإعجاز العجيب في التقديم والتأخير ومن ذلك قوله تعالى: (إنما حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهِلّ به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)[111].

فقوله تعالى: (قل لا أجد في ما أوحي إلّي محرماً على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهلّ لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإن ربك غفور رحيم)[112].

فالسياق قدّم (لغير الله) على (به) لأن المقام هو في الكلام على المفترين على الله مما كانوا يُشرّعون للناس باسم الله وهم يفترون عليه.

أما في سورة البقرة فمقام رزق وإطعام الطيبات (قدّم به) تقديم بطلان ذكر غير الله لأنه هو الذي يحلل ويحرم.

ومن التقديم والتأخير والإعجار العظيم في قوله تعالى: (وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)[113].

وقوله تعالى في سورة الأنفال: (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم)[114].

فقدم القلوب (قلوبكم به) على الجار والمجرور في آل عمران وأخرها عنه في سورة الأنفال (به قلوبكم) علماً بأن الكلام على معركة بدر والموقف مختلف.

فالمقام فالآية الأولى آل عمران قدّم القلوب للطمأنينة والتبشير والمواساة.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

أمّا في سورة الأنفال فمقام انتصار قدّم (به) على (القلوب).

وهكذا تبين لنا أن الإعجاز في التقديم والتأخير في القرآن له دلالاته وبلاغته وأساليبه، مما أعجز الجنس البشري على مدى الزمن، حتى يبقى القرآن الكريم معجزة خالدة ودستوراً بشرياً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الهوامش

1- الطبري، محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تح. محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج1، ص4-5.

2- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام، تح. مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1375، ج1، ص90.

3- ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، ج1، ص64.

4- سورة يوسف، آية 80.

5- سورة الطور، آية 33.

6- سورة هود، آية 13،14.

7- سورة البقرة، آية 23،24.

8- سورة الاسراء، آية 88.

9- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح. السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، 1973، ص10.

10- سورة الفتح، آية 27.

11- سورة الروم، آية 2،3،4.

12- سورة يوسف، آية 82.

13- سورة البقرة، آية 189.

14- سورة الزمر، آية 73.

15- أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح. محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، 1968م، ص69-70.

16- سورة البقرة، 179.

17- النكت في اعجاز القرآن، ص70.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

18- سورة الكهف، آية 109.
19- الجاحظ، من رسالة حج النبوة، ص144.
20- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، ص197.
21- الجاحظ، من رسائل حج النبوة، ص120.
22- سورة الصف، آية 9.
23- سورة الأنفال، آية 7.
24- سورة الزمر، آية 23.
25- سورة النساء، آية 82.
26- الزمخشري، الكشاف، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1972. ا/69.
27- القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاهرة، 1940، ص23.
28- دلائل الإعجاز ص32.
29- دلائل الإعجاز ص32.
30- سورة الزمر، آية 66.
31- سورة البقرة، آية 172.
32- سورة ابراهيم، آية 12.
33- سورة يونس، آية 85.
34- سورة هود، آية 88.
35- سورة الملك، آية 29.
36- سورة الغاشية، آية 25،26.
37- العلوي، يحيى بن حمزة الطراز لأسرار البلاغة، مطبعة المقتطف بمصر، 70/2 – 71.
38- سورة الأنبياء، آية 93.
39- سورة الرعد، آية 36.
40- سورة يونس، آية 4.
41- سورة القيامة، آية 30.
42- سورة فصلت، آية 47.
43- سورة لقمان، آية 34.
44- سورة الأنعام، آية 59.
45- سورة الأنعام، آية 84.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

46- سورة الضحى، آية 10،9.
47- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 15/2.
48- سورة الذاريات، آية 56.
49- سورة العنكبوت، آية 38.
50- سورة البقرة، آية 255.
51- الإتقان في علوم القرآن 144/2.
52- الإتقان في علوم القرآن 2/114.
53- سورة الأنبياء، آية 33.
54- سورة الأنعام، آية 1.
55- سورة لقمان، آية 9.
56- الاتقان في علوم القرآن، 114/2.
57- سورة الحج، آية 40.
58- سورة الأحزاب، آية 25.
59- سورة الشورى، آية 11.
60- سورة الإنسان، آية 2.
61- سورة الفرقان، آية 73.
62- البرهان في علوم القرآن، 254/3.
63- سورة طه، آية 46،45.
64- الكشاف 531/2.
65- سورة البقرة، آية 137.
66- سورة الأنفال، آية 61.
67- البرهان في علوم القرآن، 292.
68- سورة القلم، آية 12،11،10.
69- البرهان في علوم القرآن، 292.
70- سورة النساء، 69.
71- الإتقان في علوم القرآن، 14/2.
72- سورة الأحزاب، آية 7.
73- الكشاف، 531/2.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

74- سورة التوبة، آية 35.

75- الكشاف، 65/1.

76- البرهان في علوم القرآن، 249/3.

77- سورة البقرة، آية 173.

78- سورة النساء، آية 100.

79- الكشاف، 38/2.

80- سورة سبأ، آية 2.

81- سورة البقرة، آية 125.

82- سورة الحج، آية 77.

83- سورة آل عمران، آية 43.

84- الإتقان في علوم القرآن، 15/2.

85- سورة المائدة، 38.

86- سورة النور، آية 2.

87- الإتقان في علوم القرآن، 15/3.

88- سورة فصلت، آية 43.

89- سورة غافر، آية 3.

90- سورة المائدة، آية 18.

91- سورة المائدة، آية 40.

92- سورة العنكبوت، آية 21.

93- الإتقان في علوم القرآن، 15/2

94- سورة الأنعام، 151.

95- سورة الإسراء، آية 31.

96- ابن أبي الإصبع، بديع القرآن تح. حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة،1957، ص 260-261.

97- سورة السجدة، آية 32،31.

98- سورة عبس، آية 32،31.

99- بديع القرآن، 261-262.

100- سورة النحل، آية 14.

101- سورة فاطر، آية 12.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 21 [2020], Iss. 1, Art. 11

102- سورة الأنفال، آية 72.
103- سورة التوبة آية 20.
104- سورة الأنعام، آية 102.
105- سورة غافر، آية 62.
106- سورة البقرة، آية 264.
107- سورة إبراهيم، آية 18.
108- سورة الإسراء، آية 89.
109- سورة الكهف، آية 54.
110- سورة الإسراء، آية 83.
111- سورة البقرة، آية 173.
112- سورة الأنعام، آية 145.
113- سورة آل عمران، آية 126.
114- سورة الأنفال، آية 10.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن أبي الإصبع. (1957). **بديع القرآن**، تح. حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة.

الجرجاني، عبد القاهر. (1984). **دلائل الإعجاز**، مطبعة المنار.

الرماني، أبو الحسن. (1968). **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح. محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

الزركشي. (د.ت). **البرهان في علوم القرآن**، دار التراث، القاهرة.

الزمخشري. (1972). **الكشاف**، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين. (2008). **الإتقان في علوم القرآن**، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير الطبري. (د.ت). **تفسير الطبري**، تح. محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

العلوي، يحيى بن حمزة. (1914). **الطراز لأسرار البلاغة**، مطبعة المقتطف بمصر.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol21/iss1/11

القاضي الجرجاني. (د.ت). **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، القاهرة.

ابن قتيبة. (1973). **تأويل مشكل القرآن**، تح. السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة.

ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي. (1990). **البداية والنهاية في التاريخ**، مكتبة المعارف، بيروت.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام. (1375هـ). **سيرة ابن هشام**، تح. مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

List of Sources and References:

Al-Alawi. (1914). *At-Tiraz*, Matbaat al-Muqtataf, Cairo.

Al-Jurjani, Abde-Qahir. (1984). *Dalail al-Ijaz*, ed. Mahmud Shakir, al-Khaniji Library, Cairo,.

Al-Qadi al-Jurjani. (n.d). *Alwasata Baina al-Mutanabbi wa Khusumihi*, Cairo.

Al-Rummani. (1968). *Al-Nukat fi Ijazz al-Quran*, ed. M.Khalaf Allah & M.Zaghlool Sallam, Dar al-Maaarif,Cairo.

Al-Suyuti. (2008). *Al-Itqan fi Uloom al-Quran*, ed.Shuayb al- Arnaoot, Beirut.

Al-Tabari. (n.d). *Tafsir al-Tabari*, ed.Mahmood Sakir & Ahmad Shakir, Ibn Taymiyya Liberary,Cairo.

Al-Zamakhshari. (1966). *Al-Kashshaf*, Matbaat al-Babi al-Halabi,Cairo.

Al-Zarkashi. (n.d). *Al-Burhan fi Ulum al-Quran*, Dar at-Turath, Cairo.

Ibn Abi Al-Esba. (1957). *Badi al-Quran*, et. Hafni M. Saraf, Nahdat Misr.

Ibn Hisham. (1375AH). *Al-Sirah al-Nabawiyyah*, ed. Mustafa al-Saqqa, Matbaat al-Babi al-Halabi,Cairo.

Ibn Kathir. (1990). *Al-Bidaya wa-Nihaya fit-Tarikh*, al-Maarif Library, Beirut.

Ibn Qutayba. (1973). *Tawil Mushkil al-Quran*, As-Sayyid Ahmad Saqr,, Dar at-Turath, Cairo.